قرابة أم مسطح من أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1]

أم مسطح رضي الله عنها صحابية جليلة من المبايعات، أسلمت فحسن إسلامها وشاركها في ذلك ولداها عوف بن أثاثة ـ المعروف بمسطح ـ وهند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنهما. لقد مات زوجها أثاثة وكان ابن عمها، فتركها وذينك الولدين منها، تنظر وحدها في شأنهما وتقوم عليهما بواجبات التربية.

إنها قرشية صميمة، وكانت كما تقتضي الظروف حازمة، رابطة الجأش فأكسبها التوفيق فرصة الاشتراك مع المهاجرين الأول في فضيلة السبق. وكفاها حظوة أن تعرض نفسها وذريتها للخطر والشدائد، تقاومها قريرة العين بما في سبيل الله ورسوله من سعادة الأبد والطمأنينة. فعاشت مع ولديها عيشة الحرائر، تدور مع الحق حيثما دار.

ولعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه منذ أول يوم قام يشملها براً وكفالة مقام أخ بار، إلى أن هاجرت فيمن هاجروا إلى المدينة، واستمر الصديق يمدّها باحتمال مؤونة الكفالة، حتى إذا صار ابنها مسطح رضي الله عنه يذهب مذهب الخائضين في الإفك، فكانت أم مسطح من أشد الناس على مسطح وإن كان هو فلذة كبدها. وكانت أطلعت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ـ رضي الله عنهما ـ على هذه الفرية الدنيئة قبل كل أحد، واتفق ذلك ليلة خروجهما معاً تلقاء المناصع.

(1) مجلة المجمع العلمي الهندي (جامعة علي كره)، المجلد الأول (العدد الأول) جمادى الأخرى 1396 هـ/ يونيو 1976 م ـ ص ص 156 ـ 163.

كانت بين الصديق رضي الله عنه وبين أم مسطح رضي الله عنها قرابة غير بعيدة، إلا أنهم اختلفوا في بيانها، فلذلك رأيت أن أوضح ـ فيما يلي ـ أمر هذه القرابة بنوع خاص.

ينبغي قبل كل شيء أن نعرف اسمها. قد ورد ذكرها في حديث الإفك بالكنية دون الاسم، واسمها فيما يقال سلمى. وبذلك أفاد العلامة السهارنفوري في حواشيه الممتعة على الجامع الصحيح[1]. وسيأتي بقية الكلام على ذلك.

أما نسبها فهو مذكور، بقدر ما يحتاج إليه، في الجامع الصحيح، حيث ورد في غضون حديث الإفك في كتاب المغازي: «وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف. وأمها بنت صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق»[2] فأعلمتنا الفقرة الأولى نسبها، كما عرفتنا الفقرة الأخرى بنسب أمها. ثم وردت الفقرة الأولى فقط بحذف «المطلب» جدها في أبواب التفسير وهذا نصها: «وهي ابنة أبي رهم ابن عبد مناف»[3] وهذا الحذف من نسبها لا غبار عليه، فقد كانوا ينسبون تارة إلى الجد.

ومما يجب التنبيه عليه أن طائفة من المصادر المتداولة ورد فيها بصدد نسب مسطح أو أمه، «عبد المطلب بن عبد مناف»، وهو غلط ليس إلا، ولكنه في معظم الأماكن ـ فيما أعتقد ـ من سهو الناسخين دون المؤلفين الأعلام[4]. والمطلب بن عبد مناف هذا، عم عبد المطلب بن هاشم وقد عرف بالإضافة إلى عمه كما هو معروف.

---

(1) البخاري: الجامع الصحيح: 364 (طبعة الهند).
(2) نفس المصدر: 595.
(3) نفس المصدر: 692.
(4) انظر نسب قريش: 95 (طبعة القاهرة) الإصابة 963:4 (طبعة كلكتا)، تاج العروس 164:2، تفسير ابن كثير على هامش فتح البيان للنواب 55:7، جامع البيان لابن جرير 64:18 (طبعة بولاق).

كانت أم مسطح رضي الله عنها ـ فيما يظهر ـ واحد أبيها أبي رهم (بضم الراء وسكون الهاء) يوصف بالأصغر واسمه أنيس (بفتح الهمزة وكسر النون، وسكون المثناة التحتانية) هكذا ضبطه ابن ماكولا ثم ابن الأثير، وتبعهما الحافظان العيني في العمدة والعسقلاني في الإصابة[1].

والظاهر من سياق نسبها ـ على ما تقدم ـ أنها قرشية مطلبية، كما ذكر صاحب أسد الغابة وليست قرشية تيمية، كما زعم الحافظ في الإصابة مع تحريه للصواب في الفتح[2].

وكذلك أفادنا النص المتقدم أن أمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وأن أم مسطح نفسها ليست خالته ولكنها كانت بنت خالته.

ومن هنا يتوضح أن مسطح بن أثاثة البدري ـ رضي الله عنه ـ ابن بنت الخالة للصديق ـ رضي الله عنه ـ وليس ابن خالته. غير أن صاحب الحواشي على الجامع الصحيح أفاد في كتاب الشهادات بما نصه: هو ابن خالة الصديق؛ وأشار إلى أنه نقل ذلك عن الزركشي[3].

فجاء هذا خلاف ما ثبت آنفاً بواضح البرهان. ولا بأس أن نعيد ما ثبت مرة أخرى فنقول إن أم مسطح ـ رضي الله عنها ـ كانت بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، ولم تكن هي بنت صخر بن عامر من بني تيم، ولكن أمها كانت بنت صخر بن عامر، فكانت أم مسطح ـ رضي الله عنها ـ لا محالة، بنت خالة الصديق ـ رضي الله عنها ـ ولم تكن خالته، فضلاً عن أن يقال في ولدها إنه ابن خالة الصديق.

ولقائل أن يقول: إن هذا القول المحكي عن الزركشي قد جرى عليه كثير من الأعلام منذ قديم.

---

(1) نسب قريش: 92، الاشتقاق: 84 (طبعة مصر)، أسد الغابة 618:5، عمدة القاري 273:8، الإصابة 963:4.

(2) فتح الباري 326:8.

(3) الجامع الصحيح: 364.

وأقدمهم في ذلك أبو عمرو خليفة بن خياط البصري المتوفى سنة 240 هـ فإنه ساق نسب مسطح بن أثاثة رضي الله عنه ثم قال: أمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وهي خالة أبي بكر الصديق[1].

وجاء محمد بن حبيب الأخباري (م سنة 245 هـ) صاحب كتابي المحبر والمنمّق، فذكر مسطحاً، إلى أن قال: هو ابن خالة الصديق[2] فهذا القول يساند ما قال خليفة. وإخال المسعودي تبعهما في كتب التنبيه والإشراف[3].

وممن وافقهم ابن حزم الأندلسي حيث قال في جمهرة أنساب العرب: وأمه ريطة بنت صخر خالة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وهي من المبايعات[4]. والخلاف بينه وبين خليفة في اسمها فقط.

وأما ابن عبد البر القرطبي فإنه اختار ـ فما يظهر ـ ما ساقه خليفة في ترجمة مسطح، ومع ذلك لم يسلم من تخليط يسير، حيث قال: وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[5]، فقوله (وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق) كما ترى.

ثم إنه ترجم لمسطح مرة أخرى في باب من اسمه عوف، فقال: وأمه ـ فيما قال ابن شهاب في حديث الإفك ـ أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، واسمها سلمى. وأمها ريطة بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[6]. وهو فيما أعتقد لقد أصاب ههنا تماماً

(1) كتاب الطبقات 1:21 (طبعة دمشق، 1966 م).
(2) كتاب المنمق: 495 (ط. دكن).
(3) ص 215 (طبعة مصر، 1938 م).
(4) الجمهرة: 73 طبعة عبد السلام محمد هارون، (مصر، 1963 م).
(5) الاستيعاب 1:285 رقم 1262 م (ط. دكن، 1336 هـ).
(6) نفس المصدر 2:498 رقم 2087.

فيما أثبته، إلا أن المختار لديه ما تقدم آنفاً.

ويظهر من صنيعه هذا، كيف أنهم ظلوا يمرون بما ورد من نسبها ونسب أمها في ضمن حديث الإفك، دون أي اهتمام بما يفيد ذلك بصدد التثبت من هذه القرابة بين الأسرتين.

وقبله بكثير ألفينا الإمام الكبير ابن جرير الطبري (م سنة 310 هـ) يسرد حديث الإفك في تاريخه تاريخ الأمم والملوك[1] وتفسيره جامع البيان، ويسوق في ضمن هذا الحديث نسبها على ما حكاه الزهري، ثم إنه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ (سورة النور، الآية: 22) يقول: كمسطح وهو ابن خالة أبي بكر الصديق[2].

ثم العجب من ابن كثير رحمه الله فإنه ينقل الحديث بطوله من مسند الإمام أحمد ولكنه مع طريقته المثلى في النقد والتمحيص، يمر بلا انتباه لما اشتمل عليه الحديث من نتفة مفيدة في تحرير نسبها، حتى إنه يفسر الآية الكريمة الآنفة الذكر فيقول: «. . . هو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكيناً لا مال له»[3].

وذهب هذا المذهب الإمام البغوي في معالم التنزيل[4]. وتبعه الخازن في ذلك حذو القذة بالقذة[5].

ثم إن الإمام العيني أيضاً رمى فأشوى[6].

وقال الإمام السيوطي في درّه: وكان مسطح من المهاجرين الأولين وكان

---

(1) الطبري 68:3 (المطبعة الحسينية المصرية).

(2) جامع البيان 18: 64، 72 (طبعة بولاق).

(3) تفسير القرآن العظيم، على هامش فتح البيان للنواب صديق حسن 55:7، 67.

(4) البغوي 53:5 على هامش الخازن.

(5) نفس المصدر 53:5.

(6) انظر عمدة القاري 273:8.

ابن خالة أبي بكر وكان يتيماً في حجره فقيراً[1]،

فلا غرو إن تلا تلوهم القاضي ثناء الله[2] والعلامة الآلوسي[3] إلا أن الآلوسي زاد عليهم قولاً استضعفه إذ قال: وكان ابن خالته، وقيل: ابن أخته.

ونقلوا عن الإمام الكشميري في أماليه الموسومة بفيض الباري: وهو ابن خالة أبي بكر[4].

وهناك آخرون لعلهم نحوا منحى هؤلاء الأعلام. ولنا فيمن أشرنا إليهم كفاية.

لا غرو أن أقدم هذه الأقاويل ما انحدر إلينا عن الإمام ابن شهاب الزهري في ضمن سرده لحديث الإفك، وقد أثبته ابن إسحق في السيرة كما نمر به في تهذيبها لابن هشام[5]، وتقدم نصه نقلاً عن الجامع الصحيح للإمام البخاري. ويشهد له ما حكي ابن عبد البر في حرف العين من كتاب الاستيعاب.

وهذا الذي ثبت في السيرة والجامع الصحيح وما إليهما من جوامع كتب الحديث والسير، يساعده كتاب نسب قريش لمصعب بن عبدالله الزبيري (م سنة 236 هـ) فإنه قال عند ذكر مسطح وأمه ـ رضي الله عنهما ـ «وأم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب»، كما ذكر أن «أمها ريطة بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة». ثم قال: «إن أم أبي بكر هي أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، وكان أبو بكر يصل مسطحاً بهذه القرابة والرحم»[6].

وما أثبته مصعب، أثبته ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير في ترجمة أم

(1) الدر المنثور 31:5.
(2) التفسير المظهري 481:6 (طبعة دلهي).
(3) روح المعاني 135:18 (طبعة مصر).
(4) فيض الباري 105:4 (طبعة مصر).
(5) السيرة 103:2 على هامش زاد المعاد (طبعة مصر 1324 هـ).
(6) نسب قريش: 95.

مسطح ثم في ترجمتي ولديها[1].

وكأني بالسهيلي يثق تماماً بما ثبت من نسبها في أثناء حديث الإفك فلذلك لا يعد قول من خالف هذا السياق خليقاً بأن يشار إليه[2].

لا يشير مصعب ولا ابن سعد إلى اسمها، كما لم يرد ذلك في الحديث. ولكن ابن عبد البر يقول فيما يحكي عن الزهري: واسمها سلمى[3]. وقال صاحب الفتح: قيل اسمها سلمى وفيه نظر، لأن سلمى اسم أم أبي بكر.. ثم ظهر لي أن لا وهم فيه. فإن أم أبي بكر خالتها، فسميت باسمها[4]،

وأما خليفة البصري فإنه ـ فيما أرى ـ لما وجد أم مسطح وخالتها سميتين، التبس عليه الأمر فخلط بينهما حتى ساق نسب الخالة حيث أراد أن ينسب بنت أختها. ثم عمّ هذا الوهم وطمّ إذ تناقلوا عنه.

وأمها ريطة بنت صخر خالة الصديق ـ رضي الله عنه ـ، كذلك سماها مصعب وابن سعد ثم صاحب الاستيعاب فيما عزا إلى الزهري. ونقل الحافظ عن أبي نعيم الأصفهاني (رائطة) بألف بعد الراء[5]. وكذا ورد بالألف عند ابن عبد البر في ترجمة مسطح[6]. ووهم ابن حزم مع جلالة قدره إذ ذكرها مكان بنتها.

ويتلخص مما تقدم أن سلمى وريطة أختان لأب، وهو صخر بن عامر التيمي، وعلى هذا كانت ريطة بنت صخر خالة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وهي التي ولدت لأبي رهم المطلبي أم مسطح. وكانت سلمى بنت صخر

---

(1) الطبقات لابن سعد 8:165 ـ 166؛ 3:36 (طبعة ليدن، 1321 هـ).
(2) انظر الروض الأنف 2:220 (طبعة الجمالية، مصر، 1332 هـ).
(3) الاستيعاب 2:498.
(4) فتح الباري 8:326 (طبعة الخيرية).
(5) نفس المصدر 8:326.
(6) الاستيعاب 1:285.

خالة أم مسطح وهي أم أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ. فليست أم مسطح خالة أبي بكر الصديق بل هي بنت خالته. وكان مسطح إذن ابن بنت الخالة للصديق، وكانت أم المؤمنين الصديقة بنت ابن الخالة لأم مسطح. وبناء على ذلك، ما نقل الآلوسي بصيغة التمريض أعني قوله: «وقيل ابن أخته»[1] يمكن حمله على أن أم مسطح كانت أخت الصديق من جهة الخالة.

أقول في الختام إن القائلين بكون مسطح ابن خالة الصديق تأثر بعضهم بما حكي عن خليفة، كما ذهب البعض الآخر فيما أرى مذهب التجوز، ومعنى ذلك أنهم أضافوا مسطحاً إلى جدته لأمه، ومن هنا عدوه ابن خالة الصديق. فينبغي لنا أن نحمل كلامهم على ذلك. ولكن الأخذ بما هو خال عن التأويل وبعيد عن التخليط أحرى، والمصير إليه أولى، والله أعلم.

---

(1) روح المعاني 135:18.